مصادر الكوليرا ومواردها

من خطبة للعلامة الدكتور كلين البكتريولوجي تلاها في دار العلوم بمدينة لندن

لو قام احد منذ ثلاثين عاماً وقسم الامراض المعدية الى ما يسهل منعهُ وما يصعب لوضع الكوليرا في صدر الامراض ٱلَّتي يصعب منعها او يستحيل. واذا اراد احد ان يصلح هذا التقسيم الآن امكنهُ ان يضع الكوليرا في صدر الامراض ٱلَّتي يسهل منعها لانهُ اسهل من منع بعض الامراض التي نشاهدها في مدننا كل يوم كذات الرئة والتيفوئيد والحصبة والقرمزيَّة . وما من شيء يدل على نفع التدابير الصحيَّة مثل قلة انتشار الكوليرا في البلاد التي تدخلها اذا كانت التدابير الصحيَّة مرعية فيها كما ثبت بالامتحان منذ خمس وعشرين سنة الى الآن . مثال ذلك ان الكوليرا الاسيوية ظهرت في بلاد الانكليز في الصيف الماضي وأُصيب بها نفر قليل في اماكن متفرقة ولكن التدابير الصحيَّة ٱلَّتي في البلاد والوسائط ٱلَّتي استخدمت حينئذٍ لمنع الكوليرا منعت انتشارها في البلاد فانحصرت بالذين أُصيبوا بها اولاً . وهذا اقوى دليل على ان تلك الوسائط والتدابير وفت بالغاية المقصودة منها وعلى ان الكوليرا من اسهل الاوبئة منعاً

ومن المعلوم ان الهنود يحملون جراثيم الكوليرا من الاسواق (الاسواق الدينية او الموالد) ٱلَّتي يجتمعون فيها ولا سيما من سوق هردوار وهي مدينة على نهر الكنك يجتمع فيها جمع غفير منهم كل اثني عشرة سنة وغرضهم الاكبر الاغتسال بماء نهر الكنك المقدس والشرب منهُ . وقد بلغ عددهم سنة ١٨٩١ زهاء مليون نفس . وبجانب تلك المدينة بركة كبيرة من نهر الكنك فينزل الهنود اليها ليغتسلوا فيها ويشربوا من مائها . وقد يبلغ عدد المغتسلين فيها يومياً ثلثمئة الف نفس فاذا كان احدهم آتياً من بلاد مصابة بالكوليرا وتلطخت المياه به انتشرت الكوليرا بين ذلك الجمع الذي يستقي منها وسارت معهم الى بلدانهم بعد عودتهم اليها

ولما دنا وقت اقامة هذه السوق سنة ١٨٩١ اخذ رجال الحكومة في بلاد الهند ينظرون في ما اذا كان منعها مستطاعاً فوجدوا ذلك ضرباً من المحال لانها فرض دبني على الهنود فلجأوا الى التدابير الصحيَّة ونزحوا الماء والاقذار من البركة المشار اليها ونظفوها جيداً ونصبوا عليها سبعة جسور (كباري) ليسهل الاغتسال فيها من كل جهة وعينوا

١٣٤٢ مكنّسًا ليكنسوا الارض وينظفوها يوميًّا . واقاموا مستشفيات كثيرة جرطها لعلاج المصابين بالكوليرا وعينوا لها الاطباء حتى يداووا كل من يصاب حالما تظهر الكوليرا فيهِ وفرقوا الشرطة والاطباء في كل الارض ٱلَّتي تقام السوق فيها . وكان الغرض الاول من هذه التدابير الصحية حفظ النظافة العامة ونقل كل مصاب الى اقرب مستشفًى حالما يصاب حتى لا تنتقل العدوى منهُ الى غيرهِ

فجاء الزوار وبعضهم من بلدان مصابة بالكوليرا واصيب اثنان منهم بها ولكنهما فُصلا عن الجمع حالاً فلم تنتشر العدوى منهما الى غيرهما وانتهت ايام السوق ولم يصَب بها احد آخر. وهذا من اغرب ما ذكر في تاريخ التدابير الصحيَّة وبهِ تأيد الحكم الذي ذكرناهُ سابقاً وهو ان الكوليرا مرض سهل منعهُ . ولو لم تتخذ هذه التدابير الصحيَّة لانتشرت حالاً في ذلك الجمع المزدحم وامتدت بواسطتهم الى كل بلاد الهند

وقد ظهرت الكوليرا في فرنسا وايطاليا واسبانيا سنة ١٨٨٤ و١٨٨٦ وفي روسيا سنة ١٨٩٢ و١٨٩٣ ولم تختلف عن الكوليرا التي ظهرت في اوربا منذ ثلاثين سنة ولكنها لم تفعل في انكلترا والمانيا فعلها بفرنسا وايطاليا واسبانيا وروسيا . ولما ظهرت في مدينة همبرج سنة ١٨٩٢ كانت تلك المدينة تستقي من ماء غير مرشح على ما فيها من القذارة ولذلك فتكت باهلها فتكًا ذريعًا . فنظفوا مدينتهم ورشحوا ماءهم فنجوا من شرها. ولو حدثت فيها في السنين الغابرة واوربا على ما كانت عليهِ من القذارة وعدم الاهتمام بالتدابير الصحيَّة لانتشرت منها في كل صقع ونادٍ

ومن هذا القبيل ما جرى في بلاد الانكليز في العام الماضي فان الكوليرا ظهرت فيها ولكنها لم تنتشر قط مع شدة الاتصال بين الاماكن ٱلَّتي ظهرت فيها وبقيَّة البلاد برًّا وبحرًا فنجاتها ونجاة المانيا من انتشارها فيها على شدَّة الاتصال بين الاماكن ٱلَّتي ظهرت فيها وبقيَّة البلاد دليل قاطع على ان التدابير الصحيَّة وقفت حرزًا حريزًا لمنع انتشارها

وقد ثبت الآن ما قالهُ احد اطبائنا منذ عدَّة سنين وهو ان الكوليرا والتيفويد مرضان من امراض المبرزات اي ان عدواها تكون في مبرزات المصاب بهما وتتصل الى معدة السليم إما بالماء او بالطعام او بالايدي ٱلَّتي تلطخت بمسكها ثياب المريض وامتعتهُ الملطخة بمبرزاتهِ

ولما ثبتت هذه الحقائق بالامتحان جرت العادة ان يفصل المصاب بالكوليرا عن الاصحاء وتطهر امتعتهُ ومبرزاتهُ او تحرق حرقًا وتمنع عن الوصول الى ماء الشرب

ومواد الطعام ويُبالَغ في تنظيف اليدين وتطهيرها اذا مسكنا امتعة المصاب . وهذه في الوسائل التي منعت انتشار هذا الوباء في الهند وفي المانيا وانكلترا . وفي تستلزم امرين جوهريين الاول ان تكون البلاد قد استوفت حقها من التدابير الصحيَّة قبلما تتعرض لانتشار الكوليرا . والثاني ان يبادر عند ظهور اول حادثة منها الى وضع المصابين بها حيث لا يختلط بهم غيرهم وتستعمل المطهرات لمبرزاتهم وامتعتهم حالاً ولا يجوز اهمال الحوادث الاولى بوجهٍ من الوجوه لانهُ اذا لم يلتفت الى هذه الحوادث وكانت التدابير على غير ما يجب انتشرت الكوليرا حالاً ولو كانت الحوادث الاولى قليلة واتسع الخرق على الراقع وصار حصر الكوليرا ومنع انتشارها من اشد الصعاب بعد ان كان في اول الامر من الهنات الهينات (ثم بسط الخطيب مذهبهُ العلمي في اصل الكوليرا ونسبة الباشلس الضمي اليها مما يخالف فيهِ الدكتور كوخ ولا غرض لنا بذكرهِ هنا)

المناظرة والمراسلة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففضاءهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف وراعينا في الادراج وعدمهِ ما يأتي :

(١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك في ما تبحث فيهِ والغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم

(٢) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستحق على المطوَّلة

رد على سعادة الدكتور عيسى باشا حمدي

حضرة الدكتورين محرري المقتطف المحترمين

قلتُ في العدد ١٥٨٢ من المقطم الاغر اني كنت اود بقاء حضرة صديقي الدكتور عيسى باشا حمدي بمصر ليتيسر لي الاخذ والرد معهُ في الموضوع الذي اعترض بهِ عليَّ واثبتهُ في عدد ١٥٨١ من جريدة المقطم ولكن حيث ان رسالتي في الدوشة قد ادرجت الآن في المقتطف الاغر وجب ان اشفعها برد وجيز ليطَّلع عليهِ حضرات العلماء قراء هذه الجريدة خصوصاً علماء هذا الفن